



ABSTRACT

This paper is an attempt to study and explore the historical development of the art of translation in Arabic language and the language compilation in the areas known as Kufa and Basra in the present day Iraq land. The paper further dig into to the geneses of Arabic grammar, its origin and the main factors that motivated its emergence in the early days of its development.

Keywords:

Translation,
Compilation, Arabic,
Kufa and Basrah.

حركة الجمع والترجمة في الكوفة والبصرة

TRANSLATION AND COMPILATION OF ARABIC LANGUAGE IN KUFA AND BASRAH

MUHAMMAD BELLO IDRIS

School of Education, A.D.R College of Education, Legal and General Studies, Misau, Bauchi State, Nigeria.

Introduction

المقدمة:

اللغة ظاهرة بشرية ووسيلة اتصال وتبادل المشاعر والأفكار، وهي مجموعة رموز صوتية منطوقة ومسمومة متفق عليها -بعدها كانت محاكاة- لأداء هذه المشاعر والأفكار، وهذه الرموز تجتمع فيما بينها فتكون مقاطع ومفردات وجملا تؤدي عاني شتى حسب ما يريد الباحث للرسالة اللغوية، وفهم المتلقي يعني إدراك العلاقات التي تقوم بين الأصوات ومدلولاتها، وبين الكلمات بعضها ببعض. وهذه المواضع هي "الأمر الأساسي الذي تستمد منه الكلمة مقومات دلالتها، يضاف إليها بعد ذلك سياق الكلام والمقام الذي يقال فيه.

اللغة العربية من اللغات السامية، لم تولد كاملة، فقد مرت كغيرها من اللغات لأطوار لم يدركها عصر التدوين، والمهم أنها نمت نموا طبيعيا بعد زمن طويل، والشواهد ترجع وجود كتابتها إلى القرن الثاني الميلادي، وقد ظهرت فيها نهضات نوعية بسبب احتكاك الأفكار بالاختلاط الذي كان يتم أثناء مواسم الحج، أضف إلى هذا أثر الهجرة التي اقتضتها عوامل طبيعتين وبذلك تعرضت لكثير من الطوارئ قبل أن تدون وتضبط وجدت مجموعة كبيرة من اللغات التي تعرف آنذاك بالللهجات⁽¹⁶¹⁾. ومهما يكن فإن كثيرا من المصادر تشير إلى أن العربية مثلها مثل اللغات الأخرى، عرفت طفولة، فقد مرت بعدة أطوار قبل أن ينزل بها القرآن الكريم، وهذه الأطوار هي:

أطوار اللغة العربية:

- **الطور الأول:** كانت فيها مزيجا من اللهجات، والبداية تعود إلى لهجتين: لهجة قبائل بني عدنان في شمال الجزيرة العربية، ولهجة قحطان الحميرية، وقد أفادت العدنانية من الحميرية وصارها حتى تغلبت عليها.
- **الطور الثاني:** بدأت عند اجتماع القبائل، واختلاط بعضها ببعض في الحروب والحج والأسواق، وهنا كان لقریش السيادة الدينية، حيث كانت تأخذ من لغات الشام واليمن وفارس والحبشة، ما تدخله في لغتها بعد تهذيب متقن، وزادت ثروتها اللغوية.
- **الطور الثالث:** بدأت بنزل القرآن الكريم، فأتت لهذه اللغة سيادتها وشرفها، فكانت شيئا مهما، وكان للحديث النبوي الشريف أثر واضح في تهذيبها، وهنا اتسعت أغراض هذه اللغة بتأثير الدين، ودخلتها الألفاظ الجديدة، وتغيرت معاني بعض الألفاظ حسب طبيعة تطور المجتمع المدني آنذاك⁽¹⁶²⁾.

¹⁶¹ . موقع شبكة سيدات مصر، ص1.

¹⁶² . كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الطليعة بيروت 1977م، ص105.



جمع اللغة والأسباب الباعثة على ذلك:

لم يكن المجتمع الجاهلي في حاجة إلى دراسة أو روايتها، حيث كانت على لسان العربي فطرة، وكان صدره وعاء لها، وكانت الوسيلة التي بها كان يفاخر بأجداد قبيلته ويحیی عصبیته. ولما جاءت الدعوة المحمدية، التف الناس حولها لفهم رالة الإسلام التي نالت باللسان العربي المبين، وكان عجزهم وتحدي القرآن لهم مدعاة إلى البحث فيه لفهم أسرارها، والعمل على نشره، كما كانت الدوافع لجمع اللغة لا تخرج عن ثلاثة عوامل، وهي كالآتي:

- 1- الخوف من اللحن في القرآن الكريم
- 2- الرغبة في ضبط اللسان العربي وحفظه من اللحن
- 3- التفاخر في التراث⁽¹⁶³⁾.

نشأة الرواية اللغوية:

لقد كان المجتمع الجاهلي مجتمعا أميا لا يأخذ اللغة إلا بالحس "وكانت القبائل كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار" ومع ظهور الدين الإسلامي، كانت اللغة ذات أوجه ومستويات كثيرة، وكان ذلك دافعا لنشاط لغوي وافر بسبب إعجاز⁽¹⁶⁴⁾. لقد شافه أهل الكوفة والبصرة أعراب البادية للأخذ عنهم، وتعد لغة البادية أوثق نص لغوي وصل العرب، وهي مثال جيد لتدوين اللغة وجمعها، وذلك لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ونقلوا عنهم كثيرا من الشاذ والدخيل والمتروك، هذا يعني أنهم كانوا يدونون اللغة انطلاقا من المجموعة اللغوية الناطقة بها، وفي محيطها الطبيعي، وهذا يستلزم بالضرورة أن المدونة كانت أمينة وصادقة في تحديدها للحيز المكاني، وتحديد البيئة أمر جدير بالتقدير، وكان الرواة يجمعون ما يسمعون من القبائل المختلفة اللهجات، فكان من الضروري أن يوجد في اللغة الترادف والمشارك والأضداد. وإن جمع اللغة من "عوامل نمو اللغة وإثراء ألفاظها نظرا لما كان في لهجات القبائل من اختلاف في اللفظ ومدلولاتها، فجمع الرواة ما جمعوا من هذه اللهجات، وبهذا ظهر واضحا أن اختلاف لهجات القبائل على أنواعها أدى إلى وجود ألفاظ ومعان مغايرة مستعملة عند قبيلة أخرى" ومع ذلك فاللغة لا تؤخذ إلا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ويتقى المظنون. وقد بقيت لغة البادية على صفاتها إلى آخر القرن الرابع الهجري⁽¹⁶⁵⁾.

الرحلة إلى البادية لجمع اللغة:

لقد كان أهل البصرة والكوفة عربا كلهم في القرن الأول، إلا الموالى منهم، وكان أولئك العرب من قبائل مختلفة، وكلهم باق على فطرتهم، فلم يكن الرواة في حاجة إلى البادية لأنهم لم يكونوا قد بلغوا الغاية في تحليل النحو وتفريعه، ومن أقدم الذين رحلوا إلى البادية: الخليل بن أحمد (ت170هـ/786م)، وخلف الآخر (ت180هـ/796م)، ويونس بن حبيب الضبيبي (ت182هـ/798م). ولا شك أن ذهاب المجموعة إلى البادية كان سببه نقشي اللحن في الحضر والالتجاء إلى الأعراب الذين لم يظهر على ألسنتهم أثر الاحتكاك بالأعاجم فأخذوا عن قيس، تميم، وأسد، وهؤلاء هم الذين أخذ عنهم الكثير، وعليهم اعتمد في الغريب وفي الإعراب والتصريف، وتأتي بعد هذه القبائل هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم. وفي الحق أن هذا التحديد المكاني والزمني كان من الضرورة أن يكون من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع لتكون المدونة واسعة، إلا أن هذا التحديد يحتاج إلى دقة أكثر، وتتبعي دراسة مستويات اللهجات على حدة لكل قبيلة لكي لا يقع الخلط بين القبائل الستة، ولكي لا يؤدي ذلك إلى الفوضى اللغوية، ومجافاة روح البحث العلمي، وبعد هذه الطبقة، وهي الطبقة الثالثة من النحاة تأتي الطبقة الرابعة، ومن أقدمهم النضر بن شميل (ت818هـ)، وقد أخذ عن الخليل وعن بعض الأعراب الذين أخذت عنهم الطبقة الثالثة، وأقام في البادية أربعين سنة، ثم الكسائي (ت189هـ)، وقد خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة، وقد أخذ أيضا عن الخليل واستمرت الرحلة إلى البادية حتى نهاية القرن الرابع، ثم فسدت سليقة العرب، وانقطعت المادة اللغوية اكتفاء بالتوارث عن كتب الأسلاف⁽¹⁶⁶⁾.

بعض وجوه نشاط الرواة:

كانت المواضيع التي كتب فيها الرواة القدماء مما يقع تحت بصر العربي، وهم في كتاباتهم هذه لا يخرجون عن نطاق جمع اللغة، ولقد كانت موضوعاتهم في التوبيع والتصنيف شاملة، حيث أنها تتناول ما يوجد في الطبيعة من حشرات ونبات وإنسان، وهناك

163 . عبد الحسين المبارك (د.)، دور البصرة في نشأة الدراسات اللغوية، المعجم العربي، ص52.

164 . عبد الحسين المبارك (د.)، المرجع السابق، ص55.

165 . المرجع السابق.

166 . شبكة سيدات مصر، ص5.



كتب الصيغ التي كانت كتب تصنيف وبحث، وإلى جانب كتب لجمع اللغة. فكتبوا في المؤنث والمذكر، وفي المقصور والممدود وغير ذلك⁽¹⁶⁷⁾.

نشاط الرواية في البصرة:

لقد كان علماء البصرة يأخذون اللغة عن الأعراب، وقد كانوا يضعون لهم أسئلة بطريقة خاصة ليمتحنوا سليقتهم، وقد كان جلهم يتشدد في اختيار ما يصدر عن الشعراء مخافة ظاهرة اللحن، فلقد حدد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، الفصاحة بانتقاء اللغة التي يدرسونها، والقبائل التي يأخذون عنها هذه اللغة، وبحكم نشأته غير بعيد عن السليقة العربية، دفعه للرحلة إلى البادية فسن هذه السنة، ومن تلاميذه يونس بن حبيب، وعيسى بن عمر (ت149هـ)، وقد رحل هذا الأخير لمشاهدة الأعراب الفصحاء، فلقد كانت حلقة البصرة يحضرها الأعراب، وطلاب العلم أمثال سيبويه، وهكذا تشدد البصريون في تحديد رقعة الفصاحة، والقبائل الفصيحة على خلاف الكوفيين الذي يعتدون بلغات عربية كثيرة⁽¹⁶⁸⁾.

نشأة الرواية في الكوفة:

لقد كانت الرواية فيها مقصورة على الشعر، لإشباع نزوع العنصر العربي من الشعر، فرحل علماءها إلى البادية للسمع عن الشعراء، والرواة، ومن أقدم رواةهم: الخثعمي أبو البلاد الكوفي، ثم حماد الراوية، والمفضل الضبي 170هـ/786م، والكسائي، وأبو عمر الشيباني (ت206هـ/821م).⁽¹⁶⁹⁾

ورأى كثير من اللغويين أن الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، إلا أن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله. وإن أكثر آثار الرواة تحاول جمع الثروة الأدبية في صميم المجتمع الكوفي، فيقال في حماد الراوية أنه جمع السبع الطوال، واختار المفضل مجموعة كبيرة من الشعر عرفت باسم المفضليات، كما وضع كتابا في الأمثال، وعمل الأصمعي كتابا على شاكلة المفضليات سماه الأصمعيات، وهي سبع وسبعون قصيدة. ومهما يكن من أمر، فإن الكوفيين أكثر توسعا في الرواية، ومن آثار الرواية عندهم: النوادر، ومعاني القرآن.

ويمكن أن نجمل ما قلناه في مسألة جمع اللغة أنها مرت بهذه المراحل:

- 1- مرحلة جمع أوائل العلماء الشواهد كيفما كانت ونظموها على شكل رسائل صغيرة في موضوع صغير.
 - 2- مرحلة تأليف الكتب في الموضوع كفعل سيبويه في النحو.
 - 3- مرحلة تأليف الكتب الضخمة الشاملة الجامعة للموضوع أو شرح الكتب السابقة⁽¹⁷⁰⁾.
- إذن، اختصت المرحلة الأولى بجمع الكلمات، تدوين كل شيء، والمرحلة الثانية جمع الكلمات المتعلقة بموضوع ما، والمرحلة الثالثة كانت على شكل معجم شامل، يشمل الكلمات على نمط خاص.
- وفي الحقيقة أنه نشأت الرواية اللغوية من العلوم العربية الأخرى، وكانت مرتبطة بعلوم الدين، حيث كان الالتفات إلى فهم القرآن الكريم الداعي الأول للبحث اللغوي، ثم استقل بعد ذلك، ونضج على يد البصريين والكوفيين، رغم الاختلافات في طريقة رواية اللغة، حيث نجد أن مدونة الكوفة أكثر توسعا من البصرية، ولكن البصرية أكثر منطقية وتحكما في الأسلوب العلمي الدقيق. غير أن هذا النشاط يمكن اعتباره جهدا قيما في مرحلة معينة، وفي إطار تاريخي واجتماعي وسياسي خاص، كان من الأخرى أن يتطور هذا الجهد، لتترقى به اللغة⁽¹⁷¹⁾.

جمع مفردات اللغة العربية:

- شرع علماء اللغة في جمعها في العصر العباسي الأول ووضع أصول قواعدها.
- كان في العالم الإسلامي لغتان، الأولى فصحي (لغة الكتابة والأدب)، الثانية لغة عامية (لغة المولدين).
- ارتحل العلماء الذين وقع على عاتقهم جمع مفردات اللغة إلى البادية وأخذوا عن سكانها أصولها على أساس أن لسانهم لم يفسد كما فسد لسان أهل الحضر نتيجة الاختلاط بغيرهم من غير العرب.
- بذل العلماء جهدا في محاولة تصحيح اللغة وإظهار الفصح منها وما هو موضوع وضعيف⁽¹⁷²⁾.

¹⁶⁷ . محمد عبد الرحمن مرجبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، بيروت 1988م، ص196.

¹⁶⁸ . أحمد محمد عوف، صناعات الحضارة العلمية الإسلامية، ج2، القاهرة، 1997م، ص51.

¹⁶⁹ . أحمد محمد عوف، المرجع السابق، ص53.

¹⁷⁰ . المرجع السابق، ص57.

¹⁷¹ . المرجع السابق، ص60.

¹⁷² . حسين ناصر (د)، المعجم العربي، ص15، وينظر أصول في فقه اللغة العربية، ص234.



مراحل جمع اللغة:

- المرحلة الأولى: شملت تدوين مفردات اللغة بدون ترتيب وحسبما اتفقت وكما تيسر للعلماء سماعها.
- المرحلة الثانية: شملت جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد كما جاء في كتب الأصمعي.
- المرحلة الثالثة: وضع المعاجم وأول من وضع هذه المعاجم الخليل بن أحمد صاحب معجم العين⁽¹⁷³⁾.

حركة الترجمة:

كانت حركة الترجمة للكتب الأجنبية من أكثر العوامل التي أثرت على العقيدة الإسلامية، فأدخلت على هذه العقيدة موروثات فلسفية، وإن كانت هذه الحركة في بداياتها ليس لها علاقة بالعقيدة؛ لكنها ما لبثت أن دخلت في العقائد فأفسدت على بعض المسلمين عقائدهم.

ولقد كان السلف يحذرون من هذا، وبدأت بعض بذوره -وربما لم تكن مقصودة- في عصر الصحابة، ومعلوم قصة صبيغ بن عسل وخوضه في المتشابهات، حيث قيل فيه إنه (كانت عنده كتب)⁽¹⁷⁴⁾.

وهذا لا يدل على نوعية هذه الكتب، وليس فيه إلا أن صبيغاً ربما كانت عنده تيارات غير إسلامية أخذها من هذه الكتب.

أولاً: الترجمة في عصر الدولة الأموية:

لم تكن عملية الترجمة والنقل في ظل الدول الأموية علامة ظاهرة، ولم يكن لهم شغل بالعلوم الفلسفية، إلا ما ذكر عن خالد بن يزيد بن معاوية، فقد ذكر ابن النديم أن "خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تصفح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، ثم نقل الديوان وكان باللغة الفارسية..."⁽¹⁷⁵⁾.

ويتبين من هذا أن حركة الترجمة لم تتعد كتب الصنعة، والذي حمل خالدًا على ذلك دوافع نفسية ورغبات شخصية، وربما يكون السبب في ذلك أن خالدًا رأى جده معاوية قد اتخذ من ابن أثال النصراني طبيباً، فأراد أن يتصل مثله برجال الطب والفلسفة والكيمياء...⁽¹⁷⁶⁾.

وأما عمر بن عبد العزيز فقد ترجم في عهده كتب الطب، وقرب إليه من الفلاسفة عبد الملك بن أجزر الكناني، وكان طبيباً ماهراً أسلم على يد عمر بن عبد العزيز⁽¹⁷⁷⁾.

فمما سبق يتبين لنا أن الترجمة في هذا العصر الأموي تناولت جانبين في هذه المرحلة:

الأول: ترجمة العلوم الطبيعية، كالطب والكيمياء، دون أن تتجاوزها إلى العلوم العقلية، كالمنطق وما وراء الطبيعة، وذلك لحاجتهم لهذه العلوم مع عدم معارضتها للإسلام في الجملة.

الثاني: حركة التعريب للدواوين⁽¹⁷⁸⁾.

ومما ينبه إليه في هذه المرحلة أن الاهتمام فيها لم يكن اهتماماً بالفلسفة كعلم، وما نقل عن أطباء وغيرهم فإنما هو معمول به كصناعة من الصناعات، وهذا لا يطعن فيما نقول من أن العلم الشائع في هذا العصر هو العلم الشرعي الديني⁽¹⁷⁹⁾.

ثانياً: الترجمة في عصر الدولة العباسية

شهدت الترجمة في العصر العباسي الأول تغيراً كبيراً، إذ كانت سياستها تختلف عن السياسة في الدولة الأموية، فالثانية تميزت بالعصبية القبلية، فكان خلفاؤها ووزراؤها من العرب. أما الدولة العباسية فقامت على أكتاف الفرس من أهل خراسان الذين لهم ثقافات قديمة قد تمسكوا بها، زد على هذا أن كثيراً من خلفاء بني العباس كانت نشأتهم غير عربية، مما جعل عندهم مرونة في

173 . المرجع السابق، ص18.

174 . الإبانة لابن بطنة 609/2، وانظر دراسات في الأهواء والفرق والبدع للعقل، ص378.

175 . الفهرست ص338، وانظر كشف الظنون 681/1، أجد العلوم 252/2، والتفكير الفلسفي في الإسلام لعبد الحليم محمود، ص277.

176 . عبد المتعال الصعيدي، الوسيط في تاريخ الفلسفة، ص9.

177 . المرجع السابق، ص12، في الفلسفة الإسلامية، محمد السيد نعيم، ص122.

178 . أثر حركة الترجمة في رقد الحضارة العربية الإسلامية، د. فاضل الحسيني، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد180، وانظر الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة للجندي، ص49.

179 . مبادئ الفلسفة، أس. رابويرت، ترجمة أحمد أمين، ص142.



الافتتاح على غيرهم؛ لذا أخذ خلفاء بني العباس يطلبون العلم بجميع أنواعه، ويكلفون النقلة والمترجمين بنقل العلوم الحكمية -طب وهندسة وفلك- ويغدقون عليهم الأموال⁽¹⁸⁰⁾.

وكان أبو جعفر المنصور -ثاني خلفاء بني العباس- قد عني بنشر هذه العلوم الفلسفية، ولكن ليس جميع العلوم، "... فبعث أبو جعفر إلى ملك الروم يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات، وقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها"⁽¹⁸¹⁾.

ولم تترجم في هذه المرحلة جميع علوم اليونان، بل كانت بعض العلوم لم تترجم؛ لما فيها من الضرر، والذي تُرجم في عهد المنصور هي كتب الطب والمنطق، فأما الطب فقد بدأت الترجمة فيه في عهد بني أمية، فالمعروف أن أبا جعفر هو أول من ترجمه.

وأما المنطق فأول من اشتهر بترجمته عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور. كما كان أيضا من أشهر المترجمين من الفارسية إلى العربية، إذ ترجم العديد من الكتب الفارسية مثل "خدinama" في السير وكتاب "التاج" في سيرة نوشروان وكتاب "الأدب الكبير" وكتاب "الأدب الصغير" وكتاب "اليتيمة" في الرسائل، وما غير ذلك.

يقول ابن النديم: "وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئا من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية، فنقل ذلك إلى العربية عبد الله بن المقفع وغيره"⁽¹⁸²⁾.

وما ينبغي التنبيه إليه أن الترجمة في عصر المنصور لم تقتصر على العلوم اليونانية، بل شملت غيرها من العلوم.

أسباب ترجمة المنطق:

يرى بعض الكتاب أن هناك أسبابا دعت أبا جعفر إلى ترجمة المنطق، منها:

- 1- كثرة المناظرات والجدل الديني بين المسلمين مع بعضهم، وبينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى، فالمسلمون اختلطوا بكثير من أرباب الديانات القديمة، وكان المسلمون يجادلونهم، وكان المجادلون من غير المسلمين لهم دراية وعلم بالمنطق اليوناني، فاضطر المسلمون إلى استعمال هذا المنطق الأرسطي لمقابلة حجج الخصوم الذي كان سلاحهم في المناظرة هو المنطق اليوناني.
- 2- دخول كثير من عقائد الفرس الدينية في الجماعة الإسلامية، وقد سلك الفرس في تأييد عقائدهم مسلك الأقيسة المؤسسة على المنطق اليوناني، فحمل علماء الإسلام على أن يسلكوا نفس طريقته بعد إتقانها، ولكي يتمكنوا من إجادتها عمدوا إلى المنطق اليوناني يستمدون حاجتهم منه.
- 3- ضعف الإيمان وقلة الوثوق بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.
- 4- ميل بعض العلماء والوزراء إلى علوم الفلسفة والمنطق⁽¹⁸³⁾.

ثم جاء عصر يحيى بن خالد البرمكي وأكمل وزاد في ترجمة الكتب، حيث إنه بعث إلى ملك الروم بالهدايا الكثيرة، حتى طلب منه كتب اليونان التي قد بنى عليها النصارى ولم يخرجوها إلى شعوبهم، فوافق ملك الروم على ذلك وبعث بها إليه، فلما وصلت جمع عليها كل زنديق وفيلسوف⁽¹⁸⁴⁾.

إن عصر المأمون من أزهي عصور الترجمة عند المسلمين خلال العصور الوسطى، إذ أنه أقبل طلب العلم بهمة فكان أول من فحص كتب الحكمة والفلسفة وأمر بنقلها إلى العربية، وفتح الباب للترجمة على مصراعيه، وعمل ما لم يعمله سابقوه بأن قام بترجمة الفلسفة الإلهية فلسفة أرسطو وغيره، واستمر عصره بأخذ الثقافة من مواردها الأصلية والبحث عنها في منابها القاصية، وشجع على ترجمة أمهات الكتب الأجنبية في مختلف اللغات في الفلسفة والطب والطبيعة والفلك والرياضة... ولم يتختر المأمون وسعاً في ذلك، فقد وثق علاقاته بملوك الروم وأتقنهم بالهدايا الثمينة، وسألهم صلته بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو... وكان من شروط عقد الصلح بينه وبين الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكنبات الأستانة... وازدهرت مكتبة بيت الحكمة التي أنشأها الرشيد وتطورها المأمون⁽¹⁸⁵⁾ تطويراً كبيراً عما كانت عليه، وعمل فيها كثير من النقلة عن اللغة اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية...

هذا، ولم يكن التشجيع على النقل في هذا العصر مقصوراً على الدولة، بل كان لبعض الأفراد من أهل اليسار مشاركات قوية احتنوا فيها ما احتنأه المأمون، ومن هؤلاء بنو موسى المنجم⁽¹⁸⁶⁾.

يقول ابن القيم: "وولي على الناس عبد الله بن المأمون، وكان يحب أنواع العلوم... فأمر بتعريب كتب اليونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد، فعربت واشتغل بها الناس..."⁽¹⁸⁷⁾.

¹⁸⁰ . في الفلسفة الإسلامية، محمد السيد نعيم، ص124.

¹⁸¹ . كشف الظنون لحاجي خليفة، 679/1.

¹⁸² . الفهرست ص337، وانظر: كشف الظنون 681/1، أجد العلوم 252/2.

¹⁸³ . محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص167-168، في الفلسفة الإسلامية، ص129.

¹⁸⁴ . صون المنطق والكلام للسيوطي، ص7. وانظر: موقف المتكلمين للعضن، 51/1.

¹⁸⁵ . يخطئ بعض المؤرخين في نسبة بيت الحكمة إلى المأمون، والحق ما ذكرنا من أن المأمون هو الذي طره.

¹⁸⁶ . محمد عبد الرحمن مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، 303-305، وانظر مبادئ الفلسفة، أس. رابورت، ص145.

¹⁸⁷ . الصواعق المرسله، 1072/3.



أما في الموجة الأخيرة في عصر المأمون ترجمت هذه الألوان من العقائد والآداب والفنون من الفلسفة اليونانية، وترجمت عقائد الفرس أيضا وأفكار الصوفية الهندية⁽¹⁸⁸⁾.

أثار هذه الترجمة على العقيدة:

كان من أكبر الآثار على العقيدة الإسلامية ترجمة كتب الإلهيات التي تضاد بالدرجة الأولى صفاء العقيدة الإسلامية، فكان ترجمة علم المنطق والفلسفة الإلهية خاصة من أهم أسباب دخول الفلسفة في العقائد الإسلامية بدلاً من النصوص الشرعية، فحينما نتصفح كتابا من كتب المعتزلة أو الأشاعرة -خاصة المتأخرين منهم- فإنك تجد أنها تتميز بالمقدمات المنطقية الطويلة والصعبة، ثم تجد الصفحات الطويلة في الاستدلال على العقائد بالعقل، مع إغفال النصوص الشرعية، ناهيك عن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وما أحدثوه على العقائد الإسلامية من ويلات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والفلاسفة المتظاهرون بالإسلام يقولون: إنهم متبعون للرسول، لكن إذا كشفت عن حقيقة ما يقولونه في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تبين لمن يعرف ما جاء به الرسول وما يقولونه في نفي الأمرس أن قولهم ليس هو قول المؤمنين"⁽¹⁸⁹⁾.

وهناك بعض الأمور التي تلفت الانتباه في هذه الترجمة:

- 1- التضاد التام بين العقيدة الإسلامية والديانات التي ترجمت كتبها خاصة اليونانية⁽¹⁹⁰⁾.
- 2- الخلل في هذه الترجمات ودقتها، مما ينتج عنه عدم الدقة في المعلومات المنقولة والشك في مصداقيتها إن كان فيها حق⁽¹⁹¹⁾.
- 3- أن معظم هؤلاء النقلة كانوا نصارى، وبعضهم يهود، ومن كان منهم مسلما فهو فاسد العقيدة في الغالب⁽¹⁹²⁾.

من أمثال: يعقوب الزهاوي النصراني، يوحنا بن ماسويه النصراني، حنين بن إسحاق وابنه إسحاق وهم نصارى، وقسطا بن لوقا، وأبو بشر متى بن يون، وابن المقفع، وغيرهم كثير.

الخلاصة:

إن العرب المسلمين كانوا مبتكرين ومبدعين في العلوم التي نقلوها عن اللغات الأخرى ولم يكونوا مجرد مترجمين ونقلة، إذ إنهم فسروها وأضافوا إليها شروحا وتعليقات قيمة. وإن حركة الجمع والترجمة للكتب الأجنبية إلى اللغة العربية من أكبر العوامل التي اهتم بها العرب القدامى، وكانت مرتبطة بالعلوم الدينية، وقد أثرت على العقيدة الإسلامية، حين كانت الالتفات على فهم القرآن الكريم، الداعي الأول للبحث اللغوي. بدأت حركة الجمع تستقل بعد ذلك، ونضح على يد البصريين والكوفيين رغم الاختلافات في طريقة رواية اللغة حين نجد أن الكوفة أكثر توسعا من البصرة، ولكن البصرة أكثر منطقية وتحكما في الأسلوب العلمي الدقيق. أما حركة الترجمة فقد بدأت في أوائل عصر الدولة الأموية على يد خالد يزيد بن معاوية، أنه أول من اهتم بالترجمة في هذا العصر، ثم عمر بن عبد العزيز، واستمرت هذه الحركة في عصر الدولة العباسية على يد أبي جعفر المنصور، ثم أكملت وزادت في عصر يحيى بن خالد البرمكي، ثم تطورت وافتحت الباب على مصراعية في عصر المأمون، حيث ازدهرت مكتبة بيت الحكمة التي أنشأها الرشيد وتطورها المأمون تطورا كبيرا.

المصادر والمراجع

- شبة سيدات مصر.
- كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الطليعة بيروت، 1977م.
- عبد الحسين المبارك (د.)، دور البصرة في نشأة الدراسات اللغوية، المعجم العربي.
- محمد عبد الرحمن مرجبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، بيروت، 1988م.
- أحمد محمد عوف، صناعات الحضارة العلمية الإسلامية، ج2، القاهرة، 1997م.
- حسين ناصر (د.)، المعجم العربي، وينظر: أصول في فقه اللغة العربية.
- ابن بطوة، الإبانة، ت/رضا نعتسان، الراية، الرياض، ط1، 1415.
- أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة
- محمد النهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، مكتبة وهبة.
- ابن تيمية، ت/محمد رشاد سالم، الصدفية، ط2، 1406.
- ابن القيم، ت/علي الدخيل الله، الصواعق المرسلية، دار العصامة-الرياض، ط3، 1418م.
- السويطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: علي النشار، مكتبة السعادة، الطبعة الأولى.
- عمر كحالة، الفلسفة الإسلامية، مطبعة الحجاز، بدون تاريخ ولا طبعة.
- عرفان عبد الحميد، الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

188 . الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة لأنور الجندي، ص53.

189 . الصدفية، 326/2.

190 . انظر الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، ص79.

191 . انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق ص42.

192 . انظر أسماء جملة منهم وأخبارهم في: الفهرست لابن النديم ص340-342، طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، ص68.



TIMBOU-AFRICA ACADEMIC PUBLICATIONS

FEB., 2023 EDITIONS, INTERNATIONAL JOURNAL OF:

SOCIAL SCIENCE RES. & ANTHROPOLOGY VOL. 12

محمد بن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1398-1978م.
ترجمة أحمد أمين، مبادئ الفلسفة، مطبعة لجنة التأليف، طه، 1938م.
حاجي خليفة، كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413/1992م.
عبد المتعال الصعيدي، الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة الجامعة الأزهرية، الطبعة الخامسة.